دراسات التاريخية

صديق الدملوجي

١٨٨٠ - ١٩٥٨

دراسة في حياته وكتاباته التأريخية

○ عبدالفتاح علي يحيى ○ القسم الأول ○

المقدمة :-

في الوقت الذي خدم فيه الكثير من العلماء والكتاب الاكراد تراث العرب الفكري والادبي والعلمي ، فان التاريخ قديماً وحديثاً يسجل بالمقابل خدمات العديد من كتاب العرب ومثقفيهم للشعب الكردي خصوصاً في كتابة تاريخه الحديث والمعاصر . ولعل ابرزهم في هذا المجال المرحوم صديق سعيد عبدالرحمن الدملوجي الموصلي الذي تتبوأ كتاباته الرصينة عن الاكراد ولاسيما في منطقة بادينان «١» مكانة متميزة ومرموقة في الدراسات والمقالات والكتب التي تخص الاكراد . وتعد كتاباته مصادر قيمة يعول عليها . خصوصاً أنه شاهد عيان للكثير من الاحداث التي وردت في مؤلفاته وبحوثه ومطلع عليها عن كثب ناهيكم عن قضائه فترة زاهرة من حياته بين ابناء الشعب الكردي تعرف خلالها على الكثير من الشخصيات الكردية وارتبط معهم بصداقات متينة . ومما دفعنا الى بحث هذه الشخصية المنسية واجلاء جوانبها فضلاً عما ذكرناه ، توجهاته الفريدة في المنهجية التاريخية وفي تقصي الحقائق وجمعه بين النزعة السياسية والتاريخية والاجتماعية في كتاباته . وصراحته وجرأته في طرح الحقائق التاريخية .

نسبه وعائلته وسيرته

والدملوجي نسبة الى قرية «دملوج» - وتطلق لغة على الاراضي الصلبة المستديرة - الواقعة قرب مدينة تعز في اليمن الشمالي . وينتمي سكانها الى عشيرة «الشريفات» من قبيلة عنزة العربية الشهيرة . نزحت مجموعة من افرادها الى كردستان في زمن السلطان العثماني مراد الرابع «١٦٢٣ - ١٦٤٠» وسكنت في الاراضي الواقعة بين ماردين ونصيبين ، وبعد مدة من الزمن أنتقلت الى مدينة الموصل وتألفت منها الاسرة الدملوجية . وبسبب ظهور رجال اكفاء اداريا من هذه الاسرة فقد حظوا باهتمام سلاطين ال عثمان . فاول جدٍ عرف في الموصل من ال الدملوجي هو «الشيخ سليمان» الذي كان قد أنعم عليه السلطان عبدالحميد الاول «١٧٧٤ ١٧٨٩» برئاسة فرقة الانكشارية واقطعه مقاطعة سنجار . وقد ظهر من نسله رجال عديدون حظوا مثله باهتمام السلاطين والامراء ، منهم ولده الشيخ يوسف الذي أنعم عليه السلطان سليم الثالث «١٧٨٩ - ١٨٠٧» برتبة رئاسة فرقة الانكشارية سنة ١٧٨٩م واقطعه محافظية قلعة «وان» . وقد ترك الشيخ يوسف ولداً أسمه «الشيخ مصطفى» الذي كان رئيساً لفرقة الانكشارية في الموصل . ومن اولاده الشيخ «عبدالله شمس الدين» . وكان عالماً واسع الاطلاع توصل الى درجة رئاسة العلماء في الموصل ، وله مؤلفات عديدة وتعليقات وحواشي . منها كتاب «كف المعارض ببراءة ابن عربي وابن الفارض» ومنها «شرح عصام في علم الوضع» «٢» وتوفي في أواخر ولاية محمد باشا اينجه بيرقدار «حامل العلم النحيف» (١٨٣٥ - ١٨٤٣) الذي اشتهر بالظلم والجور . وقد تمكن بنفوذه عند الوالي المشار اليه ان ينقذ الكثيرين من الابرياء من حكم الاعدام .

وتوفى الشيخ عبد الله .. عن ولد اسمه عبد الرحمن افندي الذي خلف ولدين يدعيان مصطفى وسعيد . واشغل مصطفى كوالده رئاسة أوقاف الموصل . وسكن في مدينة زاخو فترة طويلة وتوفي عام ١٨٧٩ . أما اخوه سعيد افندي فقد كان مهتماً بالادب وتقلد عدة وظائف في العهد العثماني وتوفي عن خمسة أولاد وهم : صديق (محور بحثنا) وفاروق ونعمة الله وعبدالله وتوفيق .

ولد صديق سعيد عبدالرحمن الدملوجي في شباط عام ١٨٨٠ في مدينة الموصل في محلة الجامع الكبير (الجامع النوري) «٣» من اسرة دينية كانت تعرف انذاك «ببيت المدير» . حيث كان عميدها يشغل وظيفة مدير الاوقاف كما سبق وان ذكرنا . ونشأ الدملوجي في محلة «راس الكور» الشعبية ودخل احدى المدارس الرشدية التي كانت تحوي صفوفاً ابتدائية . وترعرع وشب في اسرة محبة للعلم والادب فقد كان والده «رئيساً لعلماء الموصل» ونبغ من اسرته الكثيرون من الرجالات المتخصصين في حقول شتى من المعرفة «٤»

اهتم صديق الدملوجي بالتاريخ والادب بشكل خاص . فكان رغم أن الحظ لم يواته كالبقية من افراد اسرته ليكمل تحصيله العلمي ويحصل على شهادة رفيعة . الا أن شهرته الفائقة طغت على شهرة الاخرين من ابناء اسرته واصبحت اسرته تعرف باسمه على نطاق واسع في العراق وعند ابناء الشعب الكردي بدرجة خاصة .

لقد برزت ميول الدملوجي الوطنية المعارضة للسيطرة العثمانية منذ صغره

بحيث أن .. عائلته لمسوا منه هذا الاتجاه المعارض للسلطة .. لاسيما والده الذي حجب عنه السفر الى استنبول لغرض مواصلة تحصيله بعد اكماله الدراسة الاعدادية ، علماً أنه لم يحجب حق السفر هذا عن سائر اخوته . وحين سئل والده عن السبب في عدم ارساله صديقاً الى استنبول للدراسة قال مانصه «اخافُ عليه من العثمانيين أن يهجروه» «٥» اي يقيدوه ويلقوه في البحر لهذا لم يستطع الدملوجي أن يواصل دراسته ، لكنه كان يتمتع بموهبة فذة وقابلية لايرقى اليها الشك ويبدو أنه كان رجلاً عصامياً استطاع أن يشق طريقه الى النجاح والشهرة وان يبلغ مراحل متقدمة من النضوج الفكري بالاعتماد على نفسه ، فانكب على الكتب وصفحاتها بحثاً وتدقيقاً وصولاً للحقيقة ... ولم تستطع الظروف الرجعية المشحونة بالقهر والاستبداد أن تنال منه أو تثنيه عن عزمه ، أنما بقى ذلك المناضل الجسور والفكر الوقاد حتى اخر لحظة من حياته ويظهر هذا واضحاً في مؤلفاته وكتاباته القيمة التي تمتاز بالانصاف والموضوعية والجرأة ، وتدل على سلوكه القويم وثقافته الواسعة فقد كان يجيد لغات عديدة منها الفارسية والتركية ويحفظ الكثير لشعرائها خصوصاً قصائد شاعر الترك العظيم «نامق كمال» ، وكانت كرديته ممتازة حتى أن أحداً لم يكن بمقدوره أن يميزه عن اي كردي ساعة تحدثه وباللهجتين الكرديتين الرئيسيتين الكرمانجية الشمالية والجنوبية ، وعن ثقافته الموسوعية يقول الاديب والقانوني ابراهيم الواعظ «ولست بناس طوال عمري تلك الايام والليالي التي قضيتها بالقرب منه ... مستمتعاً باحاديثه .. مستفيداً من اطلاعه الواسع مسترشداً بارائه القيمة ولاغرو فانه كان والحق يقال مكتبة قيمة تحتوي على كل علم وتنطوي على كل فن فالدملوجي الكبير كان فيلسوفاً» «٦» ، وكتب عنه الاستاذ جرجيس فتح قائلاً : كان لصديق الدملوجي مقدرة مدهشة في التعبير عما يريد وكان البيان يطاوعه .. ،نواكد أديب متتبع ومعاصر أن اسلوب الدملوجي بالتركية قد يسمو الى اسلوب نامق كمال «٧» .

ويظهر من مؤلفاته أن أول وظيفة اسندت اليه كانت وضيفة كاتب ثم محصل للضرائب وتدرج في السلم الوظيفي حتى اصبح مديراً لناحية المزورية «اتروش» عام ١٩٠٥ ، واصبح قائمقاماً ومديراً للناحية في الكثير من المدن العراقية مثل :- العمادية والدوسكي «مانگيش» وتللعفر وسنجار والسماوة والشطرة والقرنة والنجف ، وفي حقل الصحافة عمل الدملوجي محرراً دائماً في جريدة النجاح الاسبوعية التي كانت تصدر في الموصل عام ١٩١٠ - ١٩١٢ وباللغتين العربية والتركية ، ولكن كتاباته فيها جرت عليه مشاكل ونقمة أكثر من والٍ من ولاة العثمانيين فقد زج بالسجن أكثر من مرة ، ثم نقل منه رأساً الى وظيفة ادارية «٨» كما عمل محرراً في مجلة النادي العلمي لسان حال النادي العلمي الذي تأسس في الموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ «٩» .

وبسبب مواقفه المناوئة للسياسات العثمانية لاسيما سياسة جمعية «الاتحاد والترقي «التي كانت ترى فيه عدواً لدوداً للطورانية ، فقد قضى الدملوجي اعواماً وهو طريد القانون والنظام العثمانيين . وعدا الاختفاء فقد أتهم بكل مانص عليه قانون العقوبات العثماني واحيل الى الديوان العرفي العسكري المتشكل في الموصل وسجن عام ١٩١٤ . وطرد وعزل من وظيفته أكثر من مرة ، وكتب الدملوجي عن الاتحاديين وعهدهم قائلاً : فكأن الذين قاموا بالانقلاب واسقطوا السلطان عبدالحميد اصبح من حقهم أن يتصرفوا بالبلاد وانباء البلاد ، واصبحت البلاد ملكاً لهم ، يأكلوا حلواها دون ثمن ويستبدوا بما شاء لهم الاستبداد ، ويمضي الدملوجي في وصف حالة ووضع العراق السياسي في عهد الاتحاديين فيقول «أن الناس في عهدهم كانوا قسمين هذا وطني صادق وهذا غير وطني خائن ، الوطني الصادق هو «الاتحادي» مهما يكن مطعوناً في شرفه وسلوكه ، وغير الوطني الخائن هو الذي لم يكن «أتحادياً» ولو كان مدحت ابا الاحرار ... رحماك ياوطن ماذا لاقيت من ذل ومهانة على ايدي هؤلاء «الاوباش الادنياء» وكيف أتخذوك الة لترويج ماربهم ، لم أكن أتحادياً ولا ائتلافياً ولكنني أتهمت بالثانية ، فكنت غير وطني خائن ، ولاقيت من عسف الاتحاديين مالاقاه امثالي من الخونة .. «١٠»

وفي رسالة مفتوحة وجهها الدملوجي الى وزير الداخلية العثماني طلعت بك جاء فيها : أن حكم الاتحاديين للعراق بالقهر والاستبداد اثار المشاعر وادى الى رفع شكاوى عديدة ، ويخاطب الدملوجي وزير الداخلية قائلاً : «ألم يكن هدفكم احلال الحرية محل الاستبداد والعدل محل الظلم والحق محل الاهانات ونزع قيد العذاب الذي يكبل وجدان الامة وجعل الكل يستفيدون وينعمون بالحرية والقانون» «١١»

والدملوجي رغم انتسابه الاسري الى اسرة عريقة ومتنفذة ، كان من المتمردين على سلوك الطبقة المتنفذة تجاه السكان مما أثار بذلك حفيظة وسخط الطبقة الرجعية والمتنفذة في مدينة الموصل والتي نجحت في تلفيق الكثير من التهم الباطلة عليه ، ومن مواقفه أنه كان يؤثر الاحتكام الى العقل أكثر من الاحتكام الى القوانين العثمانية ، والاحتكام الى مصالح الناس والشعب دون الاحتكام الى الانظمة والاجراءات الحكومية ، وقد كتب بمرارة معتذراً عن مشاركته في بعض الاجراءات القمعية بحق بعض العشائر أو الطوائف الدينية ، بوصفه موظفاً صغيراً مضطر لتنفيذ الاوامر احياناً «١٢» وقد تسببت مواقفه في حرمانه من الحياة الاعتيادية حياة الهدوء

والاستقرار . ومما له دلالته أنه كان يلجأ الى الاحتماء بالاكراد هرباً من جور الاتحاديين فقد اختفى في أوائل عام ١٩١٧ جراء الصاق تهمة سياسية به واقام لاجئاً في قرية «دهولي» في جبل سنجار ، ثم غادر الجبل الى عشيرة شمر العربية ، ومن هناك عبر نهر دجلة من قرية «سيقباد» وذهب الى جبل گارا في العمادية واقام في قلعة «قمري» مقر رشيد بك البرواري ولم يعد الى الموصل الا بعد أن سقطت بيد قوات الاحتلال البريطاني في ١٣ / ١١/١٩١٨ .

ولا يذهب الظن بالقارئ ان الدملوجي حين عاد الى الموصل بعد زوال حكم العثمانيين اثر وصول قوات الاحتلال البريطاني اليها ، انه كان يتوسم الخير بالانكليز ، فقد قاوم هؤلاء مثلما قاوم العثمانيين وانتهت به المقاومة الى طرده نهائيا من وظيفته كقائمقام لقضاء القرنة في عام ١٩٢٧ .

لقد عاش الدملوجي وطنيا عراقيا طول حياته . ومن مواقفه المشهودة على تعلقه بالشعب ووطنه . انه كان يحتقر الضباط الانكليز ولا يقوم باستقبالهم عند زياراتهم له . كما تخاصم اكثر من مرة مع المفتشين الاداريين الانكليز امثال «كيجن» و «المستربيد» . وعندما كان قائمقاما في السماوه رفض الاستجابة لطلبات المفتش الاداري الانكليزي المتكررة لتلفيق تهم باطلة للايقاع بعدد من قادة ثورة العشرين التحررية . وعندما امره الانكليز بان يقطع شجرة ادم «شجرة السدرة او النبق» في القرنة رفض الامتثال لاوامرهم ، وقام بتسييجها واظهار العناية بها «١٣» وكان تصرفه هذا تعبيرا عن مدى احترامه لمعتقدات الشعب الذي كان ينظر نظرة تقديس ووقار الى تلك الشجرة«١٤» اثار الدملوجي باعماله ومواقفه استياء وغضب سلطات الاحتلال البريطاني . فكان ان طرد من الوظيفة جراءها عام ١٩٢٧ وبدون اي راتب تقاعدي او اكرامية ولم تستند اليه اي وظيفة اخرى الى يوم وفاته«١٥» .

ومن النذر اليسير الذي وصلنا عن سيرته يتبين لنا ان مالاقاه من ظلم وحرمان وتعسف يفوق بما لا يقاس بالسطور التي خلدت حياته . فقد كتب عن نفسه ملخصا اعوام الحيف التي لحقت به الكلمات التالية «اذا اتيح لك وفتحت دفتر اعمالي لايام حياتي الخالية .

فانك لا تجد صحيفة تشبة الاخرى فلكل صحيفة لون ولكل كلمة صدى تبدأ هذه الصفحات منذ اول عهد طفولتي الغابرة الى عهد شيخوختي الحاضرة . فترى فيها صورا واشكالا متباينة فيها السعادة والشقاء والاقبال والادبار والافراح والاحزان والابتسامات والدموع والاوراد والاشواك والقصور والسجون تمر علي بمواكبها فانزلها وارحلها على اختلاف مظاهرها . .«١٦»

ومن الكلمات المار ذكرها يبدو انه كأي جندي مجهول ومناضل معروف بالتضحية ونكران الذات كان يعزف عن الحديث عن نفسه اذ راى ان القول في آلام ومعاناة الشعب والجماهير المعذبة اهم واجدى من سيرة حياته التي قد تشبه سيرة حياة الالاف من البشر . واكسبه هذا حب واحترام كل من عرفه وصار واحدا من الشخصيات الاجتماعية المرموقة المعروفة في مدينة الموصل ومنطقة بادينان .

اختفى الدملوجي من المسرح الاداري منذ عام ١٩٢٧ كما ذكرنا غير ان نضاله لم يتوقف انما اتخذ شكلا نظريا ان جاز التشبيه . فلقد انكب يكتب حصيلة مامر به من تجارب واحداث وقد انجاز في كتاباته باستمرار الى جانب العدالة والحقيقة وضد الظلم والحكام الجائرين والاقطاع واصحاب الزعامات الزائفة . فهو كاتب ومؤرخ تجاوز عصره بدعواته الجريئة . وكان لا يرى بدا من المجاهرة بالحقيقة . فكانت مجاهرته للحقيقة دائما سببا في نقمة السلطات العثمانية والبريطانية وبعض ذوي النظرة الضيقة عليه واتهامه بالتحزب لهولاء واولئك فلم تمر كتاباته بسلام انما لاقى من جرائها

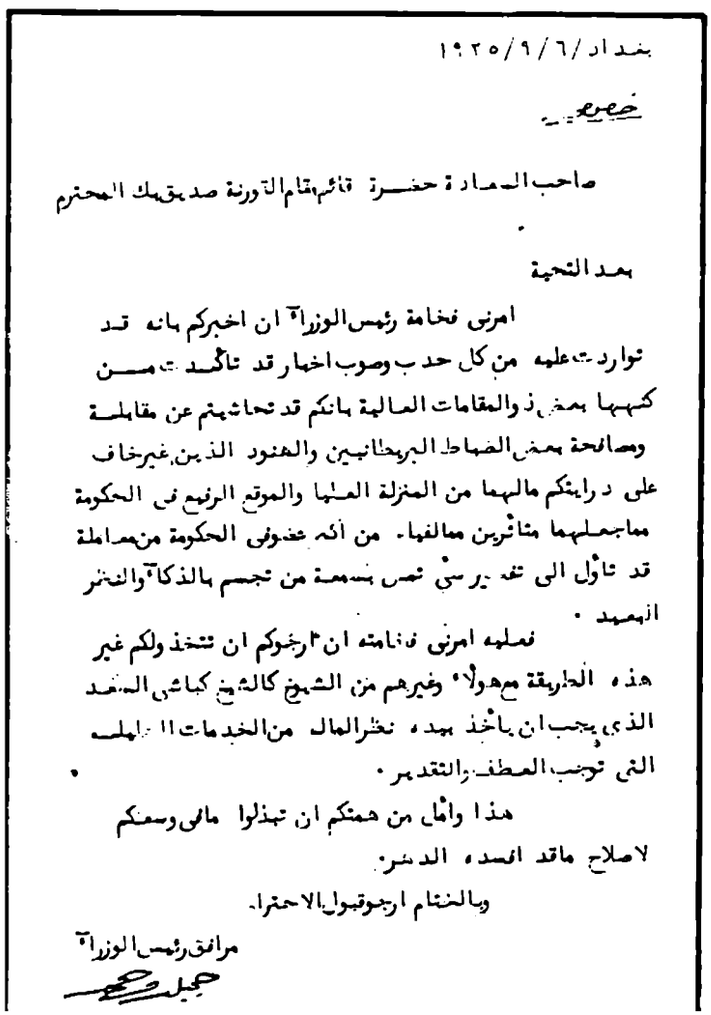
بغداد ٦/٩/١٩٢٥

خصوصي

صاحب السعادة حضرة قائمقام القرنة صديقك المحترم

بعد التحية

امرني فخامة رئيس الوزراء ان اخبركم بانه قد توارد عليه من كل حدب وصوب اخبار قد تأكد من كثيرها بعض ذوي المقامات العالية بانكم قد تحاشيتم عن مقابلة ومصافحة بعض الضباط البريطانيين والعنود الذين غير خاف على درايتكم مالهما من المنزلة العليا والموقع الرفيع في الحكومة معاجعلهما متأثرين معالفناء من انكم عضو في الحكومة من معاملة قد تأول الى تغيير شخص بسمعة من تجسم بالذكاء والفخر الممجد .

فعليه امرني فخامته ان ارجوكم ان تتخذ ولكم غير هذه الطريقة مع هولاء وغيرهم من الشيخ كالشيخ كباش السعد الذي يجب ان يأخذ بيده نخبة المال من الخدمات الجليلة التي توجب العطف والتقدير .

هذا وامل من همتكم ان تبذلوا مالي وسعكم لاصلاح ماقد افسده الدهر .

وبالختام ارجو قبول الاحترام .

مرافق رئيس الوزراء

جميل

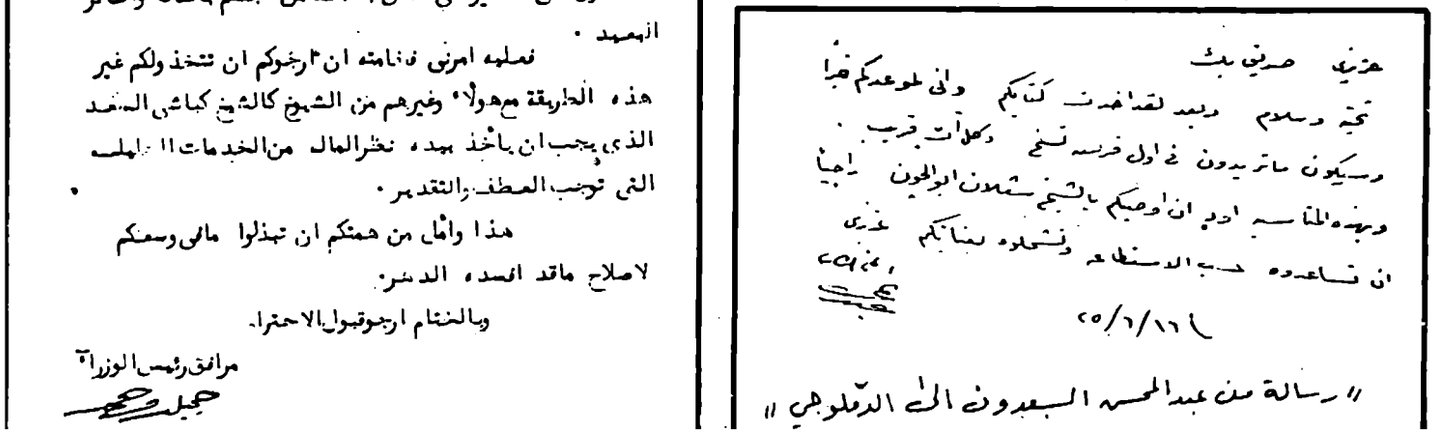
عزيزي صديقي بك

تحيتي وسلامي وبعد لقد خدمت كتيبكم وانى لموعدكم هذا وسيكون ما تريدون في اول فرصة تسنح وكلمات قريب . وبهذه المناسبة ادعو ان اوصيكم بالشيخ شعلان ابو الجون راجيا ان تساعدوه حسب الاستطاعة وتشملوه بعنايتكم مع خالص احترامي

٢٥/٦/١٦

« رسالة من عبد المحسن السعدون الى الدملوجي »

المضايقات وكتب عنه احد معاصريه قائلا : كان دم الشباب يجري في عروقه حارا ، تراه ابدا متحمسا لفكرة تعجبه مندفعا في سبيلها غير متحفظ في راي يبديه يختار اقسى التعابير وأحدها لذلك لم تجر عليه تأليفه – التي لم يطلب من ورائها الشهرة والمال – غير المتاعب والخسائر «١٧» فلقد تمت مصادرة كتابه عن اليزيدية عام ١٩٤٩ أي بعد شهور من صدوره . وانتقد كتابه «امارة بهدينات الكردية» لانه استفز واساء على حد قوله اصحاب الزعامات واغضبهم وفسروا تعبيراته واصلاحاته بما يخالف الواقع وسحب كتابه «الانقاض» من المطبعة عام ١٩٥٤ وهو على وشك الانتهاء من الطبع . وزج في السجن ونقل الى وظيفة ادارية ، بسبب مهاجمته للاتحاديين في جريدة النجاح وباللغتين العربية والتركية «١٨»

كان الدملوجي يخالط العلماء والادباء والمفكرين بصورة رئيسية . لهذا السبب كانت له علاقات ثقافية متينة حتى مع ذوي المناصب الرفيعة منهم . وابرزهم المؤرخ المعروف **محمد امين** زكي والعلامة توفيق وهبي والاستاذ بهاء الدين نوري وثلاثتهم من الاكراد الذين استوزروا اكثر من مرة في الحكومات العراقية التي تعاقبت على الحكم في العهد الملكي كما كانت له علاقات قوية مع سعيد قزاز. متصرف الموصل الذي اصبح وزيرا للداخلية اكثر من مرة في الخمسينات فضلا عن صلاته الثقافية الطيبة مع ابرز الكتاب والمؤرخين المعاصرين له اذكر منهم : مؤرخ العراق الراحل عباس العزاوي والمؤرخ عبد الرزاق الحسني والمؤرخ سعيد الديوه‌جي والعلامة الاب انستاس الكرملي والدكتور داود الجلبي والاستاذ كوركيس عواد والشيخ علي الشرقي والخوري سليمان الصايغ والصحفي الموصلي المعروف عبد الباسط يونس والسيد نور محمد البريفكاني وغيرهم وكان قسم ممن ذكرتهم يتردد عليه في منزله .

قول : ان الدملوجي برغم من كثرة معارفه واصدقائه من ذوي المناصب العليا ومن الكتاب والمؤرخين وصلاته الطيبة بهم وكون اخيه الدكتور عبد الله الدملوجي قد استوزر ثلاث مرات كوزير للخارجية «١٩٣٠ و ١٩٣٤ و ١٩٤٢» ومرة لوزارة المعارف «١٩٥٢» وان اخاه توفيق الدملوجي كان من كبار العسكريين المقربين الى الملك فيصل وابنه الملك غازي من بعده . فالدملوجي بقي دون اسرته جميعا يعيش عيشة الاوساط من الناس وكان يتكلم عما فعل للغير من الحسن بطيبة ولذة خالية من العظة والندم . . ولم يحاول يوما ان يستغل صلاته بالذين ذكرتهم جميعا او يطرق باب احدهم لاعادته الى وظيفته بل ترفع عن التوسط لديهم حتى للحصول على حقه في راتب تقاعدي مقابل خدماته التي بلغت حوالي «٢٥ سنة» كما انه رفض ان يرشح نفسه لعضوية مجلس النواب العراقي عن احدى المناطق الشمالية عندما اشار اليه بذلك بعض الاصدقاء من محبيه بل شمر عن ساعديه ليعيش من كده . فاخذ يعمل في الزراعة وذلك باستئجار الاراضي الحكومية وزراعتها بالطرق الحديثة وتروي ابنته السيدة سعاد ان والدها وبمساعدة مالية من اخيه عبد الله ، استأجر منطقة «قره‌كوز – حاوي قره‌كوز منطقة الشلالات وحي الاندلس حاليا – لمدة عشر سنوات واخذ يزرع فيها انواع المحاصيل الزاعية . وانه جلب من الريف المزارعين ليعملوا في مزرعته باجر ولكن من يسميهم في كتاباته بالوجهاء لم يتركوه يعمل واستطاعوا باساليبهم الملتوية والخفية ان يقطعوا عن مزرعته الماء الذي كان ياتيه من نهر دجلة على شكل جدول صغير فتضرر كثيرا واضطر الى ترك العمل . .

يتميز الدملوجي في كتاباته بوضوح الرؤية الفكرية فقد جاء اسلوبه واضحا ممتلئا بالحجج والادلة والبراهين الدامغة والتهكم والسخرية من كل الافكار البالية والاراء المعوجة . لذا نال حب واحترام قرائه ومعارضه . وبخاصة سكان باديناں وكل من عرفه لطيبته وصدقه واخلاصه للوطن وجرأته في طرح المسائل الحساسة . .

وفي كرهه واحتقاره للعنصات الرجعية للطبقة المتنفذة من الاقطاعيين والملاكين فانه كان يحتقر بالمقدار عينه بعضا من اولئك الذين كانوا يتنكرون لا نحدارهم الطبقي والقومي بالانتساب القومي الى الاتراك العثمانيين او اي قومية حاكمة . . ويتزلفون للحكام ، فكان يشبه امثال هؤلاء بالحرباء . . حيث يقول في وصف احدهم : «ان صاحبها تارة يدعي لنفسه التركية وتارة العربية وتارة الكردية فهو اشبه بالحزباء لكل ريشه لون اللون التركي يزهو اكثر والعربية لون قاتم بالنسبة اليه وان كان يرجع نسبه الى الحمير . ولكنه يلعن حمير ومن تناسل من حمير . .»«١٩»

ولم يكتب الدملوجي شيئا عن عائلته ونسبها «٢٠» ويعد قوله «والتفاخر بالاجداد معالجة كاذبة لاتشفينا من مرضنا «٢١» اقوى دليل على تمرده واحتقاره لفكر وايديولوجية الطبقة الرجعية .

توفي الدملوجي في محلة رأس الكور في ١٥ نيسان ١٩٥٨ مخلفا وراءه ابنة تدعى سعاد من مواليد ١٩٢٨ عملت في حقل التربية والتعليم مدة «٣٢» عاما وهي الان متقاعدة ، وابنا اسمه صباح من مواليد ١٩٣٧ تخرج في المملكة المتحدة وهو الان مهندس يعمل في بغداد ، وتروي السيدة سعاد أن والدها غادرهم من غير ان يخلف وراءه ثروة تعينهم على العيش الرغيد والدملوجي نفسه كتب في عام ١٩٥٤ قائلا «وافخر باني لا املك من حتى حطام الدنيا شيئا حتى ولا حفنة تراب من هذه الارض التي اسكنها منذ ثمانين سنة بل انا مضطجع في مقبرة لابائي واجدادي .»«٢٢»

لقد كانت حياة صديق سعيد الدملوجي حافلة بالمطاردات والحرمان

والمنغصات ولم ينعم بالراحة طول حياته ، والطريف انه لم ينعم بالراحة حتى في رقدته الابدية فبعد اربعة شهور من وفاته ازيلت مقبرة «عمر المولى» – ساحة سيارات الخطوط الدخلية في باب الطوب بالموصل حاليا – حيث كان راقدا فيها لاسباب عمرانية فنقل رفاته الى مقبرة «وادي عكّاب» على طريق موصل – تلعفر – سنجار .

ان افضل ما يمكن تقديمه للراحلين من امثال الدملوجي هو جمع نتاجاتهم ونشر سيرهم واعادة طبع مؤلفاتهم ، ولكن مما يؤسف له ان افراد اسرته كانوا وما زالوا لا يكترثون بآثاره حتى ان افراد اسرته مثلا بمن فيهم ابنته وابنه وهم اقرب الناس اليه ، لم يسعوا حتى الان الى اعادة طبع مؤلفاته او جمع مقالاته وبحوثه التي نشرها في مجلة الجزيرة وجريدة صدى الروافد مثلا بل العكس فقد اتلفوا الكثير من مخطوطاته ومسوداته التي لم يكتب لها النشر والباقية منها الان محفوظة في اماكن معرضة للتلف ايضا .

المصادر والمراجع والهوامش

١– تشمل منطقة باديناں: محافظة دهوك برمتها، والمناطق الكردية التابعة اداريا لمحافظة نينوى.

٢– عبد المنعم الغلامي :– من اسر الموصل العريقة ال الدملوجي. جريدة صدى الاحرار الموصلية العدد ١٦٧ في ١٩٥٢/٧/١١.

٣– ولد الدملوجي في دار كانت ملاصقة لمسجد «زينب خاتون» الحالي في منطقة السرجخانة، وأزيل البيت لاسباب عمرانية.

٤– فقد تخرج عبد الله من كلية الطب في استنبول. وعمل ضابطا في الجيش العثماني، وشارك في الحركة الوطنية العربية في استنبول ثم تركها الى نجد وتولى فيها مناصب هامة في اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها فقد عين وزيرا للخارجية في المملكة العربية السعودية. وعندما عاد الى العراق عين وزيرا للخارجية ايضا عام ١٩٣٠ واخيرا عين سفيرا للحكومة العراقية في طهران. كما تخرج اخوه فاروق في كلية البيطرة الملكية في استنبول وتقلب في وظائف عديدة اخرها في مديرية الامور البيطرية العامة ومنها احيل على التقاعد عام ١٩٣٨، واشتغل الى وفاته بعالم الالهيات. وله تأليف في الديانات السماوية والوثنية، واخر مؤلفاته كانت في حياة السيد المسيح «ع» وترك فاروق بعد وفاته أولاده. زهيراً وفيصلاً وسالماً وعصاماً ونبيلاً وقسم منهم من الاختصاصيين بالطب والهندسة والاقتصاد.

اما اخوه توفيق فقد تخرج من الكلية العسكرية في استنبول وقضى عدة سنوات في معسكرات اعتقال الاسرى في «سيبيريا» واشترك في الحركة الوطنية وساهم مع الاحرار في سوريا من اجل استقلال العراق وعند تشكيل الحكومة العراقية وتعيين فيصل ملكا على العراق اصبح توفيق من المرافقين له (للمزيد من المعلومات عن توفيق الدملوجي، انظر: حارث طه الراوي، ذكريات المحارب القديم توفيق سعيد الدملوجي، جريدة الاتحاد الاسبوعية، العددان ٥٦، ٥٧، بغداد ١٩٨٧)

كما تمكن احد افراد الاسرة الدملوجية في الموصل والمدعو «عبدالله زهدي الدملوجي» من اصدار جريدة اسبوعية دينية اجتماعية باسم «لواء الحق» في ١٨ اذار ١٩٤٨.

٥ مقابلات مع السيدة سعاد الدملوجي في ١٢ اب و ١١ ايلول والاول من تشرين الاول و ١٣ تشرين الثاني من عام ١٩٨٧.

٦– ابراهيم الواعظ :– الصديق «الصديق». جريدة الرائد الموصلية، العدد ٤، السنة الاولى ١٩٥٨/٦/٧.

٧– جرجيس فتح الله صديقي الراحل. ذكريات وخواطر جريدة الرائد الموصلية العدد ٢، السنة الاولى ١٩٥٨/٥/٢٤.

٨– المصدر نفسه. لقد اشتهرت جريدة النجاح الاسبوعية التي كانت تصدر في الموصل وباللغتين التركية والعربية، في اتجاهها للدعوة الى اللامركزية واندفعت في مهاجمة الاتحاديين وحرصت حرصا شديدا على اللغة العربية وادابها. وكان الدملوجي محررا دائما للقسم التركي والعربي احيانا وحتى العدد «٢٨»، انظر د. ابراهيم خليل احمد: نشأة الصحافة العربية في الموصل، الموصل ١٩٨٢ ص ٤٧ – ٥٣، واعداد جريدة النجاح.

٩ مجلة النادي العلمي مجلة نصف شهرية. صدر العدد الاول منها في ١٩١٩/١/١٥، ولم يصدر منها سوى «٨» اعداد. اذ توقفت عن الصدور في ١٩١٩/٤/٣٠، بأمر من سلطات الاحتلال البريطاني في الموصل. انظر د ابراهيم خليل احمد. المصدر السابق ص ٧٤ – ٨٤.

١٠– صديق الدملوجي :– امارة بهدينان الكردية او امارة العمادية. الموصل ١٩٥٢، ص ١٥٦.

١١– صديق الدملوجي: داخلية ناظري طلعت بك حضرتلرنية – اجيق مكتوب – جريدة النجاح، العدد ١١ في ١٩١١/١/٢٩.

١٢ امارة بهدينان ص ١٠٩، انظر كذلك صديق الدملوجي: اليزيدية الموصل ١٩٤٩ ص ٣١٧ – ٣٢١.

١٣– مقابلة مع السيدة سعاد الدملوجي في ١٩٨٧/٨/١٢.

١٤– ثمن موقف الدملوجي من شجرة ادم احد الموظفين الاداريين في البصرة في رسالة كتبها له في ١٩٢٥/١/١٥ يقول «سيدي، استاذي.. حذروهم من ارباب المطامع والمفاسد، خبروهم عن اصحاب المقاصد السخيفة الذين يريدون اتلاف الكائنات... ومما لا ريب فيه انكم ستجعلون من شجرة ادم محل مناجاة ارباب الضمير والنباهة ومدرسة لنيل فرائض الوجدان ووجائب الانسانية.. ومقتضيات البشرية.. فدم موفقا رافعا علم الحق والعدل منقبا عن الحقائق.....»

١٥– كان اخوة الدملوجي ينصحونه دائما باطاعة الاوامر واحترام المفتشين الاداريين والضباط الانكليز. فقد كتب اليه اخوه الدكتور عبدالله الدملوجي في ١٩٢٤/٧/٢٤، عندما كان الدملوجي قائمقاما لقضاء القرنه قائلا: «انك تحت المراقبة الشديدة والترصد الدقيق من قبل اولياء الامر.. والذي اوجب جلب نظرك لهذه النقطة هو تسرعك في الكلام اثناء مجالستك مع المفتش الاداري «مستويد» اوصيك بعدم الخروج عن النظام والقانون في تمشية الامور...»

وفي رسالة اخرى كتبها الدكتور فاروق الدملوجي في ١٩٢٥/٨/٣١ اليه عندما كان قائمقاما للسماوه جاء فيها: «سمعت ان المتصرف ترك حمايته لك وانه حصل بينك وبين المشاور الاداري سوء تفاهم. ما هو السبب الذي اجبرك على اتخاذ طريق خلاف اراء المشاور او المتصرف؟..... اننا مأمورين وقد خلقنا وكبرنا بها وليس لنا باب ارتزاق غيرها يفقد الوظيفة فالواجب علينا ان نوفق خطواتنا راسا مع اراء الحكومة... فالواجب يقضي باسترضاء المتصرف والمشاورين خاصة بلا قيد ولا شرط وتحمل اوامرهم القاسية. طأطأ راسك للحار والبارد بدون حدة ولا اعتراض ولا اجتهاد ولا ولا.....».

وعندما كان الدملوجي قائمقاما للنجف كتب اليه متصف كربلاء «مولود مخلص «في ايلول ١٩٢٣ يوصيه بحسن استقبال المفتش الاداري للواء الحلة الذي سيقوم بزيارة النجف في ٨ / ٩ / ١٩٢٣ «نصوص هذه الرسائل محفوظة في مكتبة اسرة الدملوجي».

١٦ – صديق الدملوجي : الانتقاض ، الموصل ، مطبعة الهدف ١٩٥٤ ص ١١ ذكرت السيدة سعاد الدملوجي : ان والدها كان من جماعة عبد المحسن السعدون الذي اسس في تشرين الاول ١٩٢٥ «حزب التقدم» واصدر الحزب جريدة «اللواء» ثم جريدة «التقدم» وقد اقدم السعدون عندما كان رئيسا لوزراء العراق على الانتحار في مساء يوم ١٣ / ١١ / ١٩٢٩ تاركا وصيته التي جاء فيها «الامة تنتظر الخدمة والانكليز لايوافقون»

١٧ – جرجيس فتح الله ، المصدر السابق

١٨ المصدر نفسه ، انظر كذلك الانقاض ص١١ .

١٩ – الانقاض ص ١٣ . وانظر كذلك مقاله « الخالديون والعباسيون» المنشور في مجلة الجزيرة الموصلية ، العدد ٢٠ السنة الثانية ١ / ١٢ / ١٩٤٧

٢٠ – تحتفظ السيدة سعاد الدملوجي بشجرة نسب طويلة لكل افراد الاسرة الدملوجية التي تصل بنسبها الى ذرية الحسن بن علي بن ابي طالب «رضي» مع نبذه قصيرة عن حياة كل واحد منهم . هذا والسيدة سعاد هي الوحيدة التي تهتم الى الان بتراث وكتابات والدها وقد ارتبطت بحياته منذ الطفولة وهي سيدة فاضلة كريمة .

٢١ – الانقاض ص ١١ .

٢٢ – المصدر نفسه ص ١١ ، ظل الدملوجي يعمل في الزراعة والتزام بعض الاراضي كما ورثت زوجته التي تنتمي الى اسرة بكر افندي المعروفة في الموصل ، بعض الاراضي الزراعية من عائلتها .

استدراك

بعد التقصي عثرت في المكتبة الوطنية ببغداد على نسخة من كتاب «الانقاض» الذي يقع في «٧٦» صفحة ويظهر انه سحب من المطبعة حال الانتهاء من طبعه لأنه في راي اسرة الدملوجي كان دون المستوى المطلوب ويسيء الى سمعة بعض الاسر الموصلية ولا يضاهي مؤلفات الدملوجي التي سبقته وكتاب الانقاض عبارة عن خواطر ومقالات في الاجتماع والتاريخ والادب «١» وغني بالمعلومات والحقائق التي تفضح النظام العثماني الاقطاعي والعادات والتقاليد العشائرية والاجتماعية الظالمة .

وتحت عنوان «خيال في حقيقة وحقيقة في خيال» يهاجم الدملوجي الذين انتقدوا كتابه «امارة بهدينان الكردية» من الانتهازيين وذي الوجهين فيقول : ان هؤلاء يريدون من الكاتب ان يخضع قلمه ويسخر عقله لأرضاء شهواتهم والاشادة باعمالهم ان ما قلته في كتابي بهدينان لم اخرج فيه عن الحقيقة وقول الحق . . ويضيف الدملوجي قائلاً : – اننا لسنا بحاجة الى تمجيد لأعمال الطغاة المستبدين والتمرغ في اعتابهم وانزالهم منزلة الالهه وعبادتهم . . ان كتاباتي مستقاة من وحي فكرة واحدة هو التنويه بالعلل والامراض الاجتماعية ومنها الاقطاعية . . . ثم يشرح الدملوجي كيفية نشوء الاقطاع واستفحال امر الاقطاعيين ويبين مساوئ النظام الاقطاعي واثره على الاجتمع «انظر ص ١٠»

وفي موضوع اخر يشرح الدملوجي موقف الفئات الاجتماعية في المدن والارياف وطبقة العلماء والوجهاء وسواد الشعب من مفهوم الحرية في اواخر العهد العثماني ، وكيف ان طبقة العلماء والمتنفذين كانوا يشوهون معنى الحرية والمسواة . . حتى بلغ بهم التشويه حدا الى القول بأن الحرية هي من صنع يهودي اسمه «سلانيك» «٢» ارادبها الاساءة الى الاسلام والمسلمين وكانوا يلعنونه . .

وعن موقف الرجل الكردي من الحرية التي اعلنها الاتحاديون يمضي الدملوجي فيقول «الرجل الكردي ذكي يشعر بالحوادث وهي لا تزال في الرشيم بارع في الاستنتاج ، قلما يخطئ ، وقد اوجدت ظروفه وبقاؤه تحت حكم اقطاعي غاشم فيه روحا حساسة تنفذ الى اعماق الاشياء فلم ينخدع بالحرية ولم يصفق لما كان ينظو اليها بمنظار قاتم وعندما لم يجد بصيصا يهديه الى طريق يرمي المنظار..» انظر ص ١٨ .

كما ويحتوي الكتاب على مسرحيتين واحدة بعنوان «جماعة من الزبائن حاملي الحراب والنبال يحرسون جماعة من الموتى»

وتتالف من خمسة مشاهد ومسرحية» فتاة ارستوقراطية مسخت هره» وتتالف من اربعة مشاهد .

وتحت عنوان «جرائم السلطانات في قصور بني عثمان» يتحدث الدملوجي عن دور الحريم المخزي واثرهن في سياسة سلاطين ال عثمان .

وفي موضوع «انا وهولاكو» تهيمن على الدملوجي حالة شعورية في استقاء الحقيقة من الفعل التاريخي من ذوي العلاقة وصانعي التاريخ مباشرة . . . فيتخيل انه يقابل «هولاكو» في خيمته في همدان ويستفسر منه على مسألتين اختلف فيها المؤرخون والكتاب الأولى حول العلقمي وتعاونه مع المغول في احتلال بغداد عام ١٢٥٨م والثانية حول حرق المغول تراث الاسلام العلمي والقائها في نهر دجلة . . . وينفي هولاكو عملية حرق الكتب ويذكر ايضا ان المغول لم ينزلوا عند رغبة ابن العلقمي في احتلال بغداد وانهم لم يكونوا بحاجة اليه اصلا لانه كان من المقرر ان يتوسع المغول حسب وصية «جنكيزخان» الى سواحل البحر الابيض المتوسط غربا . . فلم يكن من الممكن ترك الدولة العباسية بيد الخليفة خاصة بعد ان حل به الضعف والوهن ولم يبق له من المقومات الحربية ما يستطيع معه ان يحافظ على نفسه .

وفي نهاية المقابلة يطلب هولاكو من الدملوجي . . ان لا يخرج عن الحقيقة اذا كتب التاريخ ، ويعده الدملوجي بانه سيروي هذه الاخبار للناس عن لسانه وانه لا يتحمل مسؤولية المؤرخين الذين يحققون هذا الراي ويتهمون ابن العلقمي انظر ص ٦٧ – ٧٠ .

وينتهي الكتاب بترجمة منتخبات رائعة من خلجات الشاعر الوجداني «ضياء باشا التركي» الى اللغة العربية اثر الدملوجي ترجمتها ليشرك القاري فيما بعثته فيه هذه المنتخبات من سمو الاحاسيس .

١ – تحتفظ اسرة الدملوجي بجميع نسخ كتاب الانقاض الذي لم ير المكتبات

٢ – سلانيك «سالونيك» من مدن اليونان ارتبط اسمها بظهور ونشاط جمعية الاتحاد والترقي ، كما نفي اليها السلطان عبد الحميد بعد خلعه

دەرهێنانی هونەری : محمد زاده
سەرپەرشتکاری چاپ : جعفر قادر بەرزنجی
●بەرگی یەکەم :هونەرمەند «ئازاد شوقی»